وصايا رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢٧ ربيع الأول ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن وصايا النبي ﷺ ينبغي على المؤمن أن يعتني بها عناية شديدة، فهي وصايا الصادق الذي لا يكذب، والناصح الذي لا يغشّ، والمحب الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، الذي لا ينطق عن الهوى، وهُداه خير الهُدى ﷺ، فينبغي على المؤمن إذا سمع وصية من وصايا الرسول ﷺ أن يتعلّمها، وأن يفهمها، وأن يُزيِّن دُنياه بالعمل بما فيها.

وإن مما ثبت من وصايا حبيبنا ﷺ: ما جاء في حديث أبي ذر -رضي الله عنه وأرضاه- حيث قال: **أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير، أوصاني: ألا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أنظر إلى من هو دوني، وأوصاني بحب المساكين والدنوّ منهم، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مُرّاً، وأوصاني أن أُكثر من (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فإنها كنز من كنوز الجنة.**

وجاء في رواية زيادة: **وأوصاني ألا أسأل أحداً شيئاً.**

فهذه -يا عباد الله- سبع خصال من الخير أوصى بها النبي ﷺ، ومن حقّقها، وعمل بها، عاش في الدنيا سعيداً رشيداً، ومات حميداً، وبُعث آمناً، وكان في أُخراه من أهل الفوز العظيم.

فينبغي علينا -عباد الله- أن نُزيِّن دُنيانا بالعمل بهذه الخصال العظيمة التي أوصى بها حبيبنا ﷺ، وسنُعطي مفاتيح عنها في هذه الخطبة -يا عباد الله-، ولن نستطيع أن نُفصِّلها، لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، واللبيبُ بالإشارةِ يفهمُ، والمؤمن إذا ذُكِّر تَذكَّر، وتنفعه الذكرى.

هذه الخصال أوّلها قال فيه أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني ألا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أنظر إلى من هو دوني.

ربنا سبحانه وتعالى حكيم عليم، قسم بين الناس أرزاقهم، وفاضل بينهم في معيشتهم، والمؤمن إذا أيقن من هذا، فإنه ينبغي عليه أن يقنع بما آتاه الله، وأن يسعى في تحصيل فضل الله بالأسباب المشروعة، وألا ينظر إلى ما في أيدي الناس، وألا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

يقول الله عز وجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢]، فإذا علم المؤمن هذا، فإنه يقنع، ولا يحسد أحداً على رزقه.

وإن مما يُعين المؤمن على أن تَعظُم نِعَم الله عليه في عينه، وألا يزدري نعمة الله عليه، وألا يحسد أحداً على نعمة أوتيها من الله: ألا ينظر إلى من هو فوقه في أمور الدنيا، وإنما ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا، حتى لا يزدري نعم الله عليه سبحانه وتعالى، وفي هذا راحة القلب، وراحة الجسد، وطمأنينة الحياة.

فخير لك -يا عبد الله- أن تقنع بما آتاك الله، وأن تبذل الأسباب لتحصّل فضل الله، وألا تنظر إلى ما في أيدي الناس.

وأما الخصلة الثانية: فقال فيها أبو ذر -رضي الله عنه وأرضاه-: وأوصاني بحب المساكين، والدنو منهم.

المسكين -يا عباد الله-: هو قليل ذات اليد في الدنيا، الذي لا يجد قوت يومه، أو لا يجد قوت شهره، أو لا يجد قوت عامه، فليس في يده من الدنيا ما يُرغِّب الناس في حبه، ولا في القرب منه، ولكن جاء

من محاسن ديننا أن حب المساكين قربة إلى رب العالمين، وأن مخالطة المساكين، والقرب منهم، والدنو منهم، مما يُتقرب به إلى الله عز وجل، وأن الإحسان إليهم طريق المفلحين، ومن أسباب الفلاح، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم:٣٨].

وجاء عن أنس -رضي الله عنه وأرضاه- أن رسول الله ﷺ قال: «اللهمّ أحيِني مسكيناً، وأمِتني مسكيناً، واحشرني في زُمرة المساكين يوم القيامة»، فقالت أمنا عائشة رضي الله عنها: لِمَ يا رسول الله؟ -أي لِمَ تدعو بهذا الدعاء يا رسول الله؟- قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة» -يا عائشة!- «لا تَرُدّي المسكين» -لا تَرُدّي المسكين-، «ولو بشقّ تمرة، يا عائشة، أحبّي المساكين وقَرِّبيهم، فإن الله يُقرّبكِ يوم القيامة» -يا عائشة، أحبّي المساكين وقرّبيهم، فإن الله يُقرّبكِ يوم القيامة.

وجاء في الحديث: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهمّ إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.

وثبت في الحديث أن مسكينة في زمن النبي ﷺ مرضت، فأُخبر رسول الله ﷺ بمرضها، وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين -أي يزورهم في مرضهم-، ويسأل عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «إذا ماتت فآذِنُوني» -إذا ماتت: فأخبروني، اهتماماً بأمرها-، فأُخرج بجنازتها ليلاً، وكرهوا أن يوقظوا رسول الله ﷺ، فلما أصبح رسول الله ﷺ أُخبر بالذي كان منها، فقال ﷺ: «ألم آمركم أن تؤذنوني بها؟»، قالوا: يا رسول الله، كرهنا أن نوقظك ليلاً، فخرج رسول الله ﷺ حتى صفّ بالناس على قبرها، وكبّر أربع تكبيرات ﷺ.

بل -يا عباد الله- إن الإحسان إلى المساكين مع حبّهم سبب لحسن الخاتمة، بل هو دليل على حسن الخاتمة، قال رسول الله ﷺ: «من خُتم له بإطعام مسكين محتسباً على الله عز وجل دخل الجنة» -من خُتم له بإطعام مسكين محتسباً على الله عز وجل دخل الجنة.

ألا فيا عبد الله، أَحِبّ المساكين، واقتَرِب منهم، وخالِطهم، ولا يُنفِّرنَّك عنهم أنهم ضعاف في دنياهم، فإن قُربك منهم يُقرّبك إلى الله، وذاك -والله- هو الفوز العظيم.

وأما الخصلة الثالثة: فقال أبو ذر رضي الله عنه: وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت.

الرحم صلتها أمر الله عز وجل بها، ومدح فاعليها، ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد:٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله تعالى الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال تعالى: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لكِ» -فذاك لكِ.

فصلة الرحم -يا عباد الله- سبب لوصل الله لعبده، ومن وصله الله كيف يشقى؟ من وصله الله كيف يخاف؟ من وصله الله كيف يبتعد الخير عنه -يا عباد الله-؟

أما من قطع رحمه، فإنه متوعَّد -والعياذ بالله- بأن يقطعه الله، وكيف يَهنأ بالُ مؤمن يعلم أنه فاعل لسبب من أسباب قطع الله له، ومن قطعه الله، أنّى يصل له الخير -يا عباد الله-؟!

وجاء عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أحرى أن يُعجِّل الله تعالى عقوبته في الدنيا، مع ما يُدّخر لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم».

وتعظم الصلة للرحم -يا عباد الله- إذا أدبرت، وقطع أهلُها الرحم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي قرابةً، أصلهم ويقطعون، وأُحسن إليهم ويُسيئون إليّ، ويجهلون عليّ وأَحلُم عنهم، قال: «لئن كان كما تقول، كأنما تُسِفّهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك».

وقال النبي ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»، أي: ليس الواصل على وجه الكمال بالمكافئ، وإلا فالمكافئ واصل، ولكن الواصل على وجه الكمال هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها.

وجاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ليس الوصل أن تصل مَن وصلك، ذاك القصاص، ولكن الوصل أن تصل مَن قطعك.

فالخير كله -يا عبد الله- في أن تصل رحمك وإن أدبرت عنك، وإن كان أهلها قاطعين لك، فجاهد في سبيل الله، وقل في نفسك: إني إن وصلت وصلني الله عز وجل، وأعانني الله عز وجل، وإياك -يا عبد الله- أن يَغُرّك الشيطان، وأن يُسوِّل لك أن تبتعد عن رحمك -وإن ابتعدوا عنك-، فإن ذلك يجعلك فريسةً للشيطان -والعياذ بالله-.

قال أبو ذر رضي الله عنه: وأوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم.

هذه الخصلة الرابعة يا عباد الله، المؤمنون الصادقون لا يخافون لومة لائم في الاستقامة على دينهم، بل يُقدِّمون رضا ربهم، والخوف من لومه، على لوم المخلوقين، فمهما لامهم اللائمون، فإنهم يتمسّكون بالدين، وهذا يدل على قوة هممهم، وصدق عزائمهم، فإن ضعيف القلب، ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتُر قوّته عند عدل العادلين، ولربما لو أكثر الناس عليه ترك ما يراه من الاستقامة على دين الله عز وجل.

وما أحوجنا -يا عباد الله- في هذا الزمن الذي كثر فيه المخذّلون، وقلّ فيه المعينون، ألا نخاف في الله لومة لائمة، بل نتمسّك بديننا، ونستقيم على سنة نبينا ﷺ.

وأما الخصلة الخامسة: فقال فيها أبو ذر رضي الله عنه: وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مُرّاً.

المؤمن متمسّك بالحق، يقول الحق، ويدعو إلى الحق، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وإن كان الحق مُرّاً على نفسه -إذا كان الحق عليه-، كما قال النبي ﷺ: «صِل من قطعك، وأحسن إلى من أساء عليك، وقل الحق ولو على نفسك» -وقل الحق ولو على نفسك.

ولا شك أن الحق إذا كان على النفس كان قوله مُرّاً، فقل -يا عبد الله- الحق ولو كان مُرّاً.

وكذلك -يا عبد الله- إذا كان الناس ينفرون من كلامك، إذا دعوتهم بالتوحيد والسنة، إذا أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ويستثقلون مجلسك، ويرون كلامك شاقّاً عليهم، فقل الحق ولو كان مُرّاً، وترفّق بالناس في إيصال الحق إليهم.

وأما الخصلة السادسة، فقال فيها أبو ذر رضي الله عنه: وأوصاني أن أُكثر من (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فإنها كنز من كنوز الجنة.

هذه كلمة عظيمة، وذِكر مُبارك، ومعناها: أنه لا فعل، ولا استطاعة، ولا حيلة، إلا بمشيئة الله تعالى، ولا حول في دفع شرّ، ولا قوّة في تحصيل خير، إلا بالله ﷻ، ولا تحوّل عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوّة على طاعة الله إلا بمعونة الله.

وهي -يا عباد الله- كنز من كنوز الجنة، قال النبي ﷺ: «يا عبد الله بن قيس»، قال: لبيك يا رسول الله! قال: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟» قال: بلى يا رسول الله، فِداك أبي وأمي، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

وهي -يا عباد الله- باب من أبواب الجنة، قال النبي ﷺ: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟» قال: بلى، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

وهي -يا عباد الله- غِراس الجنة، ففي ليلة الإسراء قال رسول الله ﷺ لإبراهيم لما أوصاه أن يوصي أمته بغِراس الجنة، قال: «وما غِراس الجنة؟» قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

فالمؤمن الموفّق يزرع في الدنيا غرسه في الجنة بالإكثار من قول: (لا إله إلا الله)، و(لا حول ولا قوة إلا بالله)، و(الله أكبر)، وقد قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كُفِّرت عنه خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر».

ألا فاتقوا الله عباد الله، وقد سمعتم وصايا رسول الله ﷺ، فافهموها، والزموها، لعلكم تفلحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن الخصلة السابعة التي أوصى بها رسول الله ﷺ قال فيها أبو ذر رضي الله عنه: وأوصاني ألا أسأل أحداً شيئاً.

المؤمن -يا عباد الله- عفيف كريم، يتعفّف عن سؤال الناس، ولا يُذِلّ نفسه للناس، ما أمكنه السبيل إلى ذلك، وهو -يا عباد الله- يُعلِّق قلبه بالله، ويعلم أن الرزق كله من الله، فيسأل الله عز وجل، ويجعل حاجته عند ربه سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس، لم تُسَدّ فاقته، ومن أنزلها بالله، أوشك الله له بالغنى، إما بموت عاجل، أو غنى عاجل».

من أنزل فاقته بالله -يا عباد الله- أوشك الله له بالغنى والراحة، إما بموت عاجل يرتاح به من الدنيا، وإما بغنى عاجل يرتاح به من فاقته.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حَبله، فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً، فيسأله، أعطاه أو منعه».

فالمؤمن -يا عباد الله- لا يتكبّر عن العمل، بل العمل الحلال طريق إلى العزة والكرامة، فينبغي على المؤمن أن يبحث عن العمل، وألا يسأل الناس شيئاً.

وجاء وعد عظيم من رسول الله ﷺ لمن لم يسأل الناس شيئاً، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يكفل لي ألا يسأل الناس شيئاً، وأتكفّل له بالجنة؟» فقال ثوبان رضي الله عنه: أنا، ونِعْمَ ما فاز به -يا عباد الله-! فكان رضي الله عنه لا يسأل أحداً شيئاً.

فمِن خُلُق المؤمن: أنه يتعفّف عما في أيدي الناس، ويُنزل فاقته وحاجته برب الناس سبحانه وتعالى.

فيا عبد الله، ابذل الأسباب لتُعِفّ نفسك عن سؤال الناس، واحذر أن تسأل الناس شيئاً، ما استطعت الاستغناء عنهم، فإن لك في ذلك سعادة الدنيا، والفوز بجنة رب العالمين.

الله أكبر يا عباد الله! ما أعظمه من موصٍ! وما أعظمها من وصية! ينبغي على المؤمن أن يعتني بها عناية شديدة.

إن ديننا -يا عباد الله- ما ترك خيراً في الدنيا إلا بيّنه لنا، وما ترك شرّاً إلا حذّرنا منه، فالواجب علينا ألا نطلب الخير من الناس، ومما يكتبه الناس، إلا ما أُخذ من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ.

ولو أن الأمة عادت إلى قراءة كتاب ربها بتدبّر، وإلى تعظيم سنة نبيها ﷺ، والأخذ من السنة، وفهم ذلك بفهم سلف الأمة، لعادت إليها العزة والكرامة، وعاشت عزيزةً منيعةً، يرهبها الأعداء، وعاش أفرادها في خير، وكرامة، وسعادة، وطمأنينة قلوب.

فأسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يسمع الخير فيتّبعه، ويسعى في تحقيقه.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ واحدةً صلّى الله عليه بها عشراً».

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات».

وقال ﷺ: «ما من عبد يصلّي عليّ إلا صلّت عليه الملائكة، ما دام يصلّي عليّ». أو كما قال ﷺ.

ألا فأكرموا أنفسكم -عباد الله- بكثرة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في سائر أيامكم، وخُصّوا يوم الجمعة بكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، فإن صلاتكم معروضة عليه.

هذا، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.